Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (1) July(2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

دلالة المكان في رواية خوف الزجاج لعماد يوسف نموذجاً

د. شيرين ريسان رفاس

المديرية العامة لتربية المثنى-العراق

The significance of space in Imad Youssef novel "The fear of Glass" as a model

Sherine Resan Rafas

Assistant Professor Dr. - Doctorate in Arabic language and literature, General Directorate of Al- Matna Education –Iraq

significance , space , Imad Youssef, novel

الملخص:

يمثل المكان الركيزة الأساسية في تشكل العمل الروائي ، إذ يساعده في الكشف عن الدلالة التي يريد الروائي ايصالها الى الجمهور , وهذا الأمر غالباً ما يكون متعلقاً بقدرة الروائي في تشكيل ودمج العناصر السردية لخلق عالم يكشفه المتلقي ويحث الخطى في دروبه من جهة , وعلاقة الذاكرة المتخيلة للأخير في حراسة احساسه تجاه هذه الأمكنة وطريقة تخيل أبعادها الهندسية الملموسة ودلالاتها الفنية المحسوسة بما تحمل بين ثناياها من دلالتي الانفتاح والانغلاق وما يجول بينهما من جهة أخرى , وعليه تبنى البحث دراسة دلالة المكان ببعديه المغلق والمفتوح .

Summary: place represents the basic in the formation of the novel, as it helps it reveal the meaning that the novelist wants to convey to the audience this matter is often related to the novelist ability to form and integrate narrative elements to create a world that the recipient discovers and takes steps in its paths on the one hand and the relationship of the latter imagined memory in guarding his feeling towards these places and the way of imagining their tangible geometric dimensions and their tangible artistic connotations with what they carry within them of the connotations of openness and closure and what revolves between them on the other hand Accordingly the research adopted a study of the meaning of place in its two dimensions closed and open

المدخل:

يحمل المكان بين طياته الكثير من الدلالات والمعاني المختلفة التي تتباين وحسب الاحساس به , ومن ثم تحدد ابعاده وفقا لرؤية الكاتب ومقدرته في بناء وتشكيل قوالب الصب المعدة له , والتي تتلاءم وما يجول في فكره وما يريد طرحه في نصه الأدبي , وهذا يؤكد ما للمكان من أهمية تفوق غيره من عناصر السرد الأخرى إذ يمثل المكان " العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها البعض" (حسين ، ٢٠٠١، ٧٨) لا بل يعد" الهدف من وجود العمل كله (المصدر نفسه ، ٧٨) وهنا نرفض من يراه عنصراً زائداً لا طائل منه في العمل الروائي .وقد يخلق المكان عوالم متعددة تفوق ما سعى الروائي إلى اظهارها وفق إطار معرفي فني شاركه القارئ الفطن في رسمه وتصور أبعاده ذلك لأن " فهمنا للمكان ينشأ من كوننا موجودين وجوداً مكانياً , موجهين بالفعل نحو المكان ذلك نتيجة لكوننا نشغل حيزاً من المكان , ونحتل موقعاً خاصاً فيه , فالمكان منظم منذ البداية من منظور مشاركتنا الجسمية " (ماكوري ,١٩٨٢، ١٣٩) أو احساسنا العميق بما الفينا داخله من مواقف , وعشنا معه من أحداث وتفاصيل قد تكون سعيدة أو مؤلمة ، فنكون بذلك متأثرين ومؤثرين في رسم ابعاده ، ما يعني " إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً ذا أبعاد هندسية وحسب فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل كل ما في الخيال من تميز "(باشلار ، ١٩٨٧، ٣٧) وأن دقة المتخيل والقدرة على اقناع المتلقي به يعتمد على عبقرية الروائي في تقديم المكان وفق نص لغوي يصب على الورق ويوهم المتلقي بحقيقته ، لا في أطار ملموس يتشكل من مواد البناء فهو إذا" ليس حقيقة مجردة وإنما يظهر من الأشياء التي تشغل الفراغ والحيز "(قاسم، ١٩٨٤، ٧٦) وهذا ما حاول لوتمان قوله حينما رأى بأن المكان عبارة عن مجموعة من الاشياء المتجانسة التي تقوم بينها علاقة شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة / العادية ، من هنا تعددت دلالة المكان الواحد وتباينت زاوية النظر اليها في العمل الروائي ، وفقاً للشعور الداخلي تجاه المكان الواحد (ينظر: المرزوقي واخرون ، ١٩٨٦، ٥٩) وإذا ما حاولنا دراسة ما وصل

إليه المكان من ابعاد دلالية داخل هذه الرواية ، نجده لا يبتعد كثيرا عن إطار المغلق /المفتوح وفق بعديه الظاهر والعميق دلالة المكان المغلق لكل شيء قاعدة اساسية ينطلق منها , وكذلك الاشكال الهندسية تمتلك هي الاخرى قواعد لتأسيسها ؛ ولأن المكان يخضع لهندسة بحته , فهو الآخر محكوم وفق شروط وقواعد تمنحه هويته وانتمائه ، وتحدد أركانه وتعطيه عنواناً وما (المكان المغلق) إلا واحداً من تلك الأمكنة التي تحتكم لقواعد تؤسسها , فماذا يعني ؟ وكيف يحدد ؟.حينما نتعرف على المكان المغلق سوف نستدل على حدوده بسهولة , فهو ذلك الحيز المحدد ضمن اطار معين يحجب ما داخله عما هو خارجه, والذي تحده الجدران من جوانب ثلاث ويعلوه سقف , وبذلك يكون اضيق من المكان المفتوح حتى لتصبح " الأمكنة الضيقة مرفوضة, لأنها صعبة الولوج , وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيداً عن صخب الحياة " (جماعة من الباحثين, ١٩٨٨, ٦٣) , وهو على نوعين(عام) يرتاده اغلب الناس و(خاص) له ملكية فردية , و تتميز هذه الامكنة بأنها تعطي ساكنيها خصوصية تميزهم عما حولهم (ينظر: جمعة , ٢٠٠١, ٨٤) , كما إنَ لهذه الأمكنة ظروف تختلف باختلاف المواقف التي تعتريها , وعليه ظهرت اماكن الانغلاق ـ الطارئة ـ مثل (المقهى، السجن ، المشفى ، المعسكر ...الخ) والتي يرتبط زمن التواجد فيها بمقدار الحاجة والظروف التي استدعتها فبعضها تحمل الالفة لساكنيها والأخرى تكون معادية بطبيعتها, اما أماكن الانغلاق ـ المواربة ـ والتي تكون أكثر التصاق وتعلق بساكنيها مثل (البيت , الكوخ , الكهف , القصر ...الخ) والتي تحمل هي الأخر معنى الألفة بطبيعتها إلا انها قد تظهر العكس , وفقا لتفاوت الاحساس بالانجذاب والتفاعل معها وهنا يثار تساؤل هل إنَ هذه الأماكن موصده بما يكفي للانغلاق , أم إنها متداعية وهشة فقدت المعنى الحقيقي لانغلاقها ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما الأسباب التي تقف وراء هذين البعدين الدلاليين , هذا ما نحاول رصده من خلال استدعاء الأماكن المغلقة التي وظفها الروائي في روايته (خوف الزجاج) ومن بينها .

١ـ الكوخ : إن أول الاماكن المغلقة التي قابلتنا في الرواية كان (الكوخ) إذ يمثل هذا المكان وعاء شعبي يحتوي تراكيب اجتماعية , اذ عدَ رمزاً لقطاع شعبي من الأحداث والاشخاص , كذلك مثل رمزاً لقضية ملتصقة بمكان ريفي احتوى آراء ومواقف لا تجري إلا بهِ, ولا تحدث إلا من خلاله , فكان المجال الذي لا يمكن الاستغناء عنه لتوضيح فكرة, أو تجسيد موقف , ونتيجة لطبيعة الكوخ الرخوة من حيث مواد البناء , فهو يحدد حقيقة الكوخ الدلالية , من أنه لا يحقق مجتمعاً متماسكاً , كما أنه لا يخلق من سكنته أُناس هادئين باستمرار (ينظر : النصير , ٢٠١٠, ٨٧-٩٨) فكوخ الرواية بدا "كوخاً بسيطاً على هذه الشجرة (شجرة اليأس) ذي الساق الغليظة والفروع الثلاث على مقربة من النهر , متطرفاً بيوت القرية وهي تنتشر أمامي كأن كوخي مقدمة لكتاب " (يوسف , ٢٠٢١, ٢١) وإذا ما بحثنا في المعنى الظاهر للمكان , وجدناه كوخاً خاوياً قد بنية على شجرة اليأس , وكأن اليأس لم يعانق الشجرة وحدها , بل عانق الكوخ ايضاً ومن سكنه , لا بل انه كان مفتاحاً أو عنواناً يترجم حال القرية ككل, ذلك لأن الكوخ كما جاء في النص السابق كان يمثل مقدمة القرية وعنوان كتابها , وكما كان الكوخ منعزلا أو متطرفاً عن باقي البيوت كذلك حال ساكنيه , فنجد الحكيم يتخذ الكوخ مكاناً للعزلة " كان كوخ الحكيم على يسار الجبل ، يعتزل هذا الحكيم الناس , ويبدو كوخه كمرصد يتقدم القلاع القديمة ؟ مصمم على شكل رجل ساجد تمر به الغيوم وكأنه ليس من أهل الأرض "(المصدر نفسه ,١٤) .كذلك منح الكوخ صفاته لساكنيه في الرواية , أذ جعل من يدخله لا بد من ابداء الخنوع والانحناء كشيء من الإذلال قبل السماح بالدخول, لاسيما إذا عرفنا أن الكوخ كان لحكيم القرية "كان الكوخ منخفض المدخل تدخله منحنياً ثم يرتفع سقفه وهو أشبه بمنزلٍ على جانبيه صخور بيضاء وفي سقفه فطور عميقة ومعلق وسطه فانوس تحتاجه لظلمة النهار داخله "(المصدر نفسه ,١٤), وهنا تبادل الكوخ والحكيم الصفات فيما بينهما حتى بدا وجهان لعملة واحدة فصفات الكوخ فرضت على داخليه الانحناء والخضوع , كذلك الحكيم فرض الطاعة العمياء والخضوع لكل من يقصده , لا بل تشاركا حتى في ظلمة الاحكام فكما احتاج الكوخ الى ضوء في النهار ليبدد ظلمته كذلك كان حال الاحكام التي يصدرها الحكيم تحتاج الى صدق ,,ووعي ضمير لتبدد ظلمها, وهنا يبدو ان الكاتب اراد أن يقول أن الحياة داخل هذا الكوخ ــ الذي مثل العالم بأسره ــ تكاد تكون مظلمه في نهارها وليلها على حدٍ سواء بسبب ظلم الحاكم وتعاسة المظلوم , وهذا الإحساس تجسد في هذا المكان حتى شعرنا بثقل الزمن , مما أعطى للذاكرة النفاذ بنا الى خارج الرواية حيث الواقع الذي نعيشه , كما رافقنا الشخصيات داخل العمل وهي تمنح الفرصة لاختراق مجاهل النفس, فحلق الشخوص بنا بعيدا عن المكان المنغلق مانحة الحدث أبعاداً جديدة لدلالة المكان, ويرى النصير أن مثل هذه الاماكن قد تمنح العمل قيمة فنية باعتبارها رمزاً وواقعاً (ينظر : النصير , ٣٤) وبدلاً من أن يكون الكوخ مكاناً للراحة , والاستقرار, والأمن نجده يتخلى عن طبيعته الحقيقية في هذه الرواية فحال ساكنيه بدا غير مستقرا ومجهداً " قصدت كوخي وقد تملكني شعور بالخمول والتعب ... تصاعدت آلام الفقدان داخلي...انتابني شعور أن جسدي يريد أن يصرخ ويتشوه بلا حدود ولكن مشاعري لا تستجيب "(يوسف ,٢٠٢١ , ٢٩) , كما نرى تهالك الدلالة الحقيقية للكوخ حينما يفقد الشخص الأمان داخله فيضطر لتركه بحثاً عن النجاة " وجب مغادرة الكوخ حالاً... لأن القلب الأبيض اخبرني قبل قليل انهم سيأتون لقتلي " (المصدر نفسه ,١٣٥) وقد يحمل الكوخ معنى الاختناق واستلاب الحريات من اجل الحرية نفسها أو من أجل الحماية احياناً وهذا ما

حصل حينما " أخذ هذا الفارس إلى الكهف واحتجزه هناك ... لأن كوخي لم يعد آمناً ولا أمان إلا هنا , وانا مضطر لأسرك لأحافظ على أهلي من الجور"(المصدر نفسه, ١٣٥) ولكن مع هذا اليأس والتشوه الذي اصاب سكان الكوخ إلا أن هناك محاولات جاءت متأخرة إلا إنها استطاعت التخلص من قيود الكذب التي شوهت المكان بالخطايا , و التي كان يحملها لهم الشيخ كذب بوصفها هدايا لساكنيه من خلال صوت الضمير الذي نطق وقال:" ان اردت الاستنارة فاستنر بثمار صنائع المعروف واعتبرها خير من ثمار وعبر الذنوب" (المصدر نفسه, ٣٦) ذلك الصوت الذي تداعت له الشخصية البطلة ف" دخلت الكوخ وجمعت الاحجار ورميتها من سفح الغابة , لطالما استغل الكذب حاجاتنا وادعى حمايتنا"(المصدر نفسه , ٣٦) فكانت هذه الصحوة لسكان المكان هي الثيمة الرئيسة للعمل الروائي والتي تدعو إلى تغيير الواقع المشوه للحياة من خلال التخلص او التخلي عن كل شيء يشوهها ويفسد جمال الحقيقة ومحاولة اظهارها بصورة انقى واجمل , كما نرى أن الكوخ فيها حافظ على انغلاقه وبات عصياً على الدخلاء.

٢_ البيت : أما المكان المغلق الآخر اللصيق للكوخ فكان البيت أو المنزل , وهو المكان الأليف بطبيعته لاسيما مع ساكنيه , كان حاضراً هو الآخر في الرواية ولا يكاد يختلف عن سابقه إلا في مواد البناء" استغربت لشكل البيوت فهي تتفق بكونها من الحجارة وشكلها مظلم حتى من الخارج , تبدو كمنحوتات اكثر منها كبيوت تتفق في معانيها كلها على شكل امنيات مبتورة"(المصدر السابق , ٦) فهنا حمل البيت دلالتين إحداهما ظاهرة مثلت الوظيفة الحقيقي للبيت في ايواء ساكنيه , وأخرى متوارية جاءت على شكل امنيات مبتورة دل عليها استغراب الشخصية من شكل البيت الذي بدا مناقضاً للمعنى الأول إذ خلا من الدفء الذي يحتويه البيت الطبيعي , بل حمل صورة مظلمة للمكان من الداخل والخارج , إذ جاءت على هيئة منحوتات جامدة خالية من الحياة لا تصلح للعيش حتى , وهنا فقدت البيوت طابعها الحقيقي متجه نحو الدلالة المجازي التي عكست حال ساكنيها الذين فقدوا الاحساس بالحياة ولم يبق لديهم سوى الدعاء والتوسل , والخضوع , والبكاء كبديل ضعيف للتشبث بالحياة , وهو ما انعكس على شكل بيوتهم التي اتخذت هيئة "كفان يدعوان ... وبعضها على شكل توسل وبعضها مصمم كعين تبكي وبعضها تركع بخضوع , وبعضها ترتفع على شكل نجوى وبعضها على هيئة يد سائلة وبعضها على شكل اقفاص صدور وبعضها على شكل زهور ذابلة "(المصدر نفسه, ٧)ويبدو أن هذا حال أغلب بيوت الرواية فهذا منزل أخر جاء شكله مشوه لا ينتمي للطبيعة المألوفة لتصميم البيت , فهو "منزل لا يشبه المنازل وليس على شكل امنية كان شكله متشظياً كالنفور وبابه اسود" (المصدر نفسه,٢٩) هنا عكس البيت العلاقة الهشة بين ساكنيه أو حالة الضياع التي يعيشونها والتناحر بينهم , وهو ما أكده لفظ التشظي والنفور الوارد في النص السابق , أما اللون الأسود فهو قد أكد الحقد الدفين بينهم والانغلاق والتحامل على بعضهم, ومع هذا التشوه يفقد البيت دلالته الحقيقية ليخرج إلى معنى مجازي أراد الروائي من خلاله تأكيد تشوه ساكني المكان لا المكان فقط, هذا إذا عرفنا انهم سيدوا شيخ كذب عليهم وبنوا له منزلا وخصوه بالعطاية بوصفه نوع من رد الجميل , كونه جعلهم عبيدا عنده يسيرهم كيفما يشاء خاضعين ومنقادين لأمره "اسرع أهل القرية ببناء بيت له وصاروا يخصوه بأفضل الثمار ويرجعون إليه في أمورهم ويأخذون رأيه على محمل التقدير وهو ما يزال يتفضل عليهم بتذكيرهم إنه من أنقذهم من السبي والعبودية وكأنهم صاروا بعض أملاكه الشخصية "(المصدر السابق , ٤٠) ,ويبدو ان التشوه لم يستقر عند حدٍ معين من الحقد , بل وصل إلى التهام بيوت ساكنيه لا اعمارهم فقط , فها هي "النار ظلت تلتهم بيت العجوز ببرود على مهلها ... فلم تبق منه شيء إلا الجدران "(المصدر السابق , ١١٣)وفي النهاية نصل إلى حقيقة مفادها , تكاد تجتمع البيوت جميعها في هذه الرواية على حقيقة التشوه التي طالت كل شيء , على الرغم من اختلاف مقامات ساكنيها, واشكالهم , وميولهم , ونواياهم , إلا انهم اشتركوا جميعا بهذا التشوه الذي انعكس طردا عليهم , ليؤكد الروائي من خلال روايته حقيقة تشوه من سكن المكان لا المكان نفسه , وما التشوه الذي ظهر على ملامح البيوت , إلا امتداد لتشوه من بداخله , وتشوهاً لحقيقة الانغلاق التي فقدتها البيوت مع نفور ساكنيها.

٣_ القصر تمثل القصور احد الاماكن الموارية المغلقة التي جاءت في الرواية وحملت دلالتين مغايرتين , احداهما ظاهرة تمثل الحقيقة القارة لوظيفة القصور كونه المكان الذي يضم عليّة القوم ,وأخرى عميقة تكشفها النصوص التي سنأخذها من الرواية لنكشف حقيقة ما توارى , ولا بد أولاً من معرفة من يسكن القصر , فمن خلال ساكنيه سنصل إلى الوظيفة الأساسية التي اختارها الروائي له ، فها هو السخط نراه يتجه إلى القصر للعيش فيه بعدما وليَ أميراً للقرية " عليَ على ظهر حمار السيادة واعتلى فرسه واتجه إلى القصر تزفه الجموع والاغاريد"(المصدر نفسه ,١٣٠) , تشاركه ابنة الكادح التي اتخذها زوجة له " انها ابنت الكادحة , تقيم في وهما بذلك القصر وضعت نفسها ورصدتها كزوجة للأمير وهي لا تدري متى يعود ونصبت نفسها زوجة له بدون رأيه"(المصدر نفسه , ٧٣) , فظهرت العلاقة بين ساكنيه باهتة لا تحمل السمات الطبيعية للمكان , فقد أظهر القصر الكدح والضياع بين جدرانه بدل العز والوجاهة، فهذه زوجة الأمير التي لم يصرح الروائي باسمها وتركها تحمل تبعات الكدح التي لازمتها اينما حلت داخل الرواية , كونها بنت الكادحة , التي حاولت تغير وضعها بتزويج ابنتها من الامير سخط "استقبلتنا الكادحة الولود توزع الحلوى وتزغرد تبشر الناس أن زواج ابنتها الأميرة من الأمير سخط سيكون في الغد . وتدعونا إلى أفراحها وتنتقم من مشاعر الذل الطويلة بتغيير وجهها لوجه السخط, ستنام

غايتها وطئ السيادة وتورث ابنتها كدح المجد الزائف"(المصدر نفسه, ١٢٤), لكن محاولتها باءت بالفشل ذلك لأنها تعلقت بحبال الوهم , إذ إن زواج ابنتها بالأمير سخط افتقر لأبسط سمات الزوجية وهو التعرف على زوجها والعيش معه تحت سقف واحد , بل كانت تجهل اين يكون , فعاشت داخل القصر تحت طائلة الوهم , فاقدة الاستقرار والراحة التي كان من الطبيعي أن تجدها داخله , والأمير هو الآخر كان يجهل زواجه من ابنة الكادحة وكأنه ارغم على الزواج منها دون أن يعرف, وهذا بحد ذاته يعد نوعاً من الكدح في العلاقة الزوجية من جهة , وتناقضاً لطبيعة القصر الذي فقد هيبته وانتمائه من جهة أخرى .وعلى الرغم من أن القصر بطبيعته المكانية يمثل رمزاً للرفاهية والرقي , إلا انه في رواية(خوف الزجاج) أتخذ شكلاً مغايراً , إذ مثل مكاناً للعبودية وسحق الكرامة " ذلك القصر الذي ينتظر نزوله من الغيب على سجادة من كرامة العبيد ... أين ذهبت انفس هؤلاء العبيد حين يحل فيها امير غائب يأمر وينهي بهذه النفوس المرصودة لخدمته .. واين ذهبت مسؤوليتهم تجاه قريتهم" (المصدر السابق ,٥٨) كذلك اتخذ القصر مكاناً لإصدار الأحكام , و القرارات , وصندوقاً لشكاوى المواطنين, بدلاً من كونه المكان الخاص باستقرار العائلة الحاكمة وصمام الأمان والراحة لديهم "سأنقل سكني إلى القصر مقر حكمي فمن كان لديه شكوى فليأتي إلى قصري"(المصدر نفسه, ١١٩) ومع أن القصر يعد مكاناً عصياً ومغلقاً إلا لمن كان لديه هوية الانتماء ، إلا أن اخباره كانت متفشية تنتقل بحرية منه للخارج فمثل مكاناً مفتوحاً للمتنصتين " جاءت القلب الأبيض تزور العجوز ... و كانت تحمل أخباراً من القصر "(المصدر نفسه, ١٢٥) وبعد كل ما سبق عن القصر نجد بأن الروائي حاول من خلال عرض هاتين الدلالتين الظاهرة والعميقة ,أن يكشف الثيمة الرئيسة لهذا المكان الذي مثل السلطة العليا, أذ كشف بأن بيوت السلطة المتمثلة بالقصور غالباً ما تكون هشة من الداخل سهلة الاختراق , تفتقر إلى الحرية والراحة والاستقرار تشبه إلى حدٍ ما بيوت العنكبوت , وهو أمر يكشف زيف الواقع المغلق الذي تبدو عليه حياتهم من الخارج لا كما تظهر للجمهور, وهنا فقد القصر طبيعة الانغلاق وبدا متاحاً للجميع .دلالة المكان المفتوح :ومثلما وظفت الرواية المكان المغلق بين ثناياها , نجدها تستدعي المكان المفتوح ايضا , إذ أحتل الكم الأكبر من حجم الرواية , غير أننا سنقف عند الأبرز منها , ولكن بداية لابد من القاء الضوء على ماهية المكان المفتوح , والتعرف على ابعاده الهندسية التي ستقودنا حتماً إلى ابعاد اعمق تصب في مصلحة البحث وعليه نرى إن المكان المفتوح يتصف بأنه مكان واسع الافق لا ينحصر في جوانب ثلاث , كما هو الحال في الاماكن المغلقة , و يكون مفتوحاً من الأعلى , فيمنح بذلك الأشخاص الإحساس بالتفاؤل والبهجة , ويحث الذهن صوب التجوال في الاماكن بعيداً عن القيود ، فهو " يترك للأبطال حرية الذهاب والغياب والسفر, وقد تتيح لبعضهم امكانية الطواف والجولان ايضاً "(متران وآخرون ,٢٠٠٢, ٢٣) كذلك يسمح بالتعرف على انواع مختلفة من البشر , واشكال متعددة من الحركة , لأنه يمتلك مساحة واسعة لا تحدها الحدود الضيقة (ينظر : بورايو, ٢٠٠٩, ١٤٨) , وغالبا ما تتجه الشخصيات صوب هذه الأمكنة حينما تواجه ظروف طارئة , ومن بين تلك الامكنة التي ظهرت في الرواية وكان لها الدور الأبرز فيها لما حملت من افكار استطاع الروائي ايصالها إلى امتلقيه من خلالها وهي (القرية , الغابة , الساقية ...الخ).

١ _ القرية تنسب القرية إلى الأماكن المفتوحة التي لا تعترضها الحدود الضيقة والأفق المغلق, وهي تسمية تطلق على عدد من البيوت المجتمعة التي تشكل كيان تلك القرية وتمثل حدودها وترسم ابعادها ودلالاتها , فإذا ما طالعنا القرية في رواية (خوف الزجاج) نرى شكلها "يبدو كجنين في بطن أمه يمتد منها نهر صغير كالحبل السري ... استغربت لشكل البيوت فهي تتفق بكونها من الحجارة ... تتفق في معانيها كلها على شكل امنيات مبتورة"(يوسف ,٦-٧) ففي هذه الصورة تظهر القرية بشكل جنين مرتبط بالحياة عبر حبل سري , ولأن البيوت تتخذ أمنيات مبتورة , فهذا يحيلنا إلى معنيين , الأول ظاهر وهو أن القرية لا زالت غير مكتملة و في طور النشأة , أو إنها لاتزال بدائية لم يصلها التطور بعد , أما المعنى العميق فنجد القرية تقع معادلاً موضوعياً لمن يسكنها اي إنها تمثل كيان بشري يضم داخله الأمنيات التي ترتبط جميعها بحبل سري يمثل المصدر الوحيد لتحقيقها , وقد تكون الامنيات هي ملكاتنا البشرية والحبل السري هو الضمير الذي إن صلح صلحت سرائرنا وهذا ما نحاول التحري عنه من خلال النصوص المطروحة في الرواية نجد الروائي يعمد أولاً إلى تحديد شكل القرية من الداخل و بيان صفاتها من خلال اظهار طبيعة الحياة فيها " في قرية التعدي لا ثالث لأثنين الظالم والمظلوم أما أن تكون بحاشية الملك فتتسلط على الناس وتحيا وأما أن تدوسك حوافرهم وحوافر الظروف القاسية كل شيء للملك وحاشيته إلا الناس فأنهم للموت والفقر والذل "(المصدر السابق , ١٣٩) فبدت القرية حسب وصفه خاضعة لسلطة ظالمة تعيش تحت ظروف صعبة من القسوة والحرمان وهذا التشوه الذي لحق بالقرية عزاه الروائي إلى تشوه دواخل الإنسان "خضعت القرية لسطوة التخريب والمصادرة حين يكون داخلك قذراً لن تستطيع العيش حتى مع ذاتك , وقد رأيت ان كل ملكات الإنسان يمكن ان تخرب إلا الضمير , البصيرة تعمى , القلب يلوث والنفس تخرب والصفات تشوه وتمسخ والعقل يُعزل وينحى , لأن الضمير هو القاضي الإلهي الذي لا يرتشي ولا يخضع "(المصدر نفسه , ٢١٦- ٢١٧) , ثم عرج بعد ذلك على ذكر السبب الرئيس لمرض القرية وتشوهها "لم يبق من هذه القرية المريضة من يعول عليه بخير ... تخاذل القاضي وتهميش الحكيم وقهر اهل القرية وتنصيب السخط .. الذي سرق ثوبي الموشى ليتباها به ويظهر كأمير "(المصدر نفسه,١٢٠) لتشهد القرية مرحلة

جديدة من الخضوع والذل والتشتت بعد تولي سلطة السخط عليها " لم يعد الخضوع بالأمر الجديد على القرية الآن ستعيث هذه العصابة بها كما تشاء بعد حصولهم على السلطة بشكل رسمي " (المصدر نفسه,١٢٠) وهنا ابدى تشوه راس السلطة وكل من ولي أمر القرية وكيف انعكس طرداً على من يسكنها , إذ اصاب هذا التشوه دواخلهم ف" خرج الناس يرون بعضهم تشوهاتهم وقد اصابت كل اهل القرية بشكل لم يسبق له مثيل لكن أكثر ما أثارني هو إن أهل القرية اصيبوا بالتصلد ولم يعد جوهرهم يبدو لبعضهم لقد فقدوا الرؤية داخل بعضهم صلدت طينتهم انها مرحلة خطيرة من العمى يبدو انهم فقدوا الروابط بينهم حتى لم يعد احد يرى جوهر الآخر "(المصدر نفسه,١٢٢) و عزى الروائي امر التشوه إلى "نقمة حلت بأهل القرية إذ أنحل ارتباط كل فرد عن مجتمعه فلا يعنيه تشوه الناس ولا يوجعه ألمهم "(المصدر نفسه , ١٢٣) وبعد أن أظهر الروائي الصورة الكاملة والمشوهة للقرية حاول أن يصل بنا إلى الدلالة الحقيقية المخبئة تحت مفهوم القرية , التي بانت على هيئة بشرية كما ذكرنا سابقاً , فكانت التعبير المجازي للإنسان إذ أن "ما حدث في قريتي تعبير ودلالة عن حكاية الإنسان منذ أول الخلق , الغياب عن النفس ومراقبتها واهمالها لا يكون قطعياً فنحن نعود لملكاتنا حين نحتاجها لمصلحة ما دون الاطلاع على حالها"(المصدر السابق, ٢١٥) وقد اخبرنا على لسان الراوي إن القرية تمثل الجنس البشري أي انها تمثل شخصية كل فرد داخل الرواية , محدداً موقعها داخل الجسد فهي "تقع هنا .. وأشرت إلى صدري .. هذه القرية هي نفسي , وسكانها هم صفاتي ومكوناتي وملكات خلقي ألم ترى أن قصة هذا الكتاب كتبت بيدي انها قصة الحياة التي جرت داخلي قصة حياة ملكاتي التي تغربت عنها حتى انها لم تعرفني يوم عودتي لتفقدها وانا منشغل عنها وغائب وجاهل بما يحدث فيها , مهمل تفقدها ومراقبتها والشعور بتغيراتها"(المصدر نفسه , ٢١١) على الرغم من إنها تمثل "الموقع الأكثر أهمية في العالم والذي نحمله معنا ولا نبحث فيه منشغلين بالبحث خارجه"(المصدر نفسع,٢١٢) إلا أنها تعرضت للإهمال والتهميش وكان الأحرى التركيز عليها في دواخلنا , مؤكداً إن تغيير حال القرية نحو الأفضل مرهون بتغيير ذوات ساكنيها , أي ان التغيير يجب أن يبدأ من الداخل أولا ليحسّن صورة الخارج , ولو كان بدايةً على شكل امنيات "اتمنى أن تذهب تشوهات أهل القرية خاصة الأطفال "(المصدر نفسه, ٣٢) فحدث التغيير الجديد للقرية بوصفه نتيجة طبيعية لتغير ذوات أهلها " بنو لنا قرية جديدة ترتقي على سفح الجبل ، بنيت بيوتها كلها حول بيت الحكيم صدفة لم تكن مصممة على شكل جنين في بطن أمه متصل بحبله السري بل إنه ولد ... كبر واصبح تصميم القرية من قرية المنحوتات التي تدعو وتتوسل بدعاء مثقوب بالذنب ومختلفة التصاميم والأماني إلى قرية بتصميم موحد قرية ساجدة شغلها العمل عن التمني والاصلاح عن التنافس ...تركنا ماضي الذنوب والصراع والتنافس ليدرس ويطمره الزمن وبزغنا فجراً جديداً يحمل الطهر والنقاء"(المصدر نفسه, ٢٠٥) , مبشراً بولادة جديدة وسُفر قريب حل بالقرية مع "بدأ الفجر يسفر على القرية وهي تلفظ همها وتغسل من اثم هؤلاء المعتدين ليطل عليها صباح جديد يليق بطيبة أهلها ويطهرها من التشوه الذي كان على هيئة بشر "(المصدر نفسه, ١٩٦) . وهنا عبر النص عن فكرة التطهير والتجديد التي حلت بالقرية مع ولادة فجر جديد بعد أن تخلصت القرية من امراضها واحقادها وذنوب ساكنيها ,وتعافت من تخريب الدخلاء وتشوهاتهم , معلنة عن انتصارها وتطلعها نحو حياة أجمل , وبعد كل ما سبق نجد ان المعنى الحقيقي لطبيعة القرية بوصفها مكان مفتوح كان مراوغاً بين الانغلاق والفتح فقد سمحت للغرباء بالدخول إليها لكنها في نهاية الرواية تخلصت منهم جميعاً كما تخلصت من تشوهها لتعلن انغلاقها .

٢_ الساقية :تمثل الساقية المكان المفتوح من جوانبه الثلاث , كما إنها اصبحت رمز العطاء , فهي شريان الحياة وعنوان التجديد والأمل والتطهير , وهذا ما أكدت عليه اغلب النصوص الواردة في الرواية , فجاءت الساقية فيها تمثل المكان الذي يتخلص داخله الناس من همومهم وتعبهم "نظرت لساقية الماء حيث تمددت وتخلصت من ادراني ووساوسي أول دخول القرية "(المصدر السابق , ١٣٩) كذلك حملت الساقية روح التطهير من الذنوب والخطايا لمن يقصدها ,و ارتبط وجودها بالتجديد و الولادة , لاسيما إذا عرفنا أنها مثلت أحد أهم الطقوس الدينية لبعض الديانات , فقد منحت من دخلها الاحساس بالصفاء الروحي والسلام, إي النقاء الداخلي لمن صبغ بوحل الذنوب , فالذي يدخلها سقيم يخرج منها معافى , من خلال تصالحه مع نفسه والمحيط , وهو ما حاول الروائي استدعائه في هذين النصين "اسمع إيها الغريب عليك أن تعيش طقوسنا لتكون واحداً منا ... يجب ان تبدأ من جديد وتغتسل من ماضيك وسالف حياتك وتنام بهذه الساقية حتى صباح الغد... يجب أن يتخلل النور جسدك الصلد ... وتبرأ من النفاق وتكون صادق اللب والشكل" (المصدر نفسه, ١٥) اي ان الساقية مثلت هنا الهوية التعريفية لمن يحاول الانتماء إلى القرية أو تأشيرة الدخول إليها , ما يعني إنها تخلت عن معناها الطبيعي بوصفها مكاناً مفتوحاً ولبست جلباب الانغلاق ,كما كانت تلك الطقوس اكثر وضوحاً حينما " تمددْ في الساقية . استجبت وتمددت في الساقية , كان ماؤها دافئاً وشفيفاً كالضوء , وأخذ الحكيم يتلو من كتابه : ايها النور الأعلى وقبس الوجود دمت في عليائك لك الملك اوله وآخره , طهر هذه الروح من الدنس واكشف جوهرها المكنون وأخرها من ظلمات النفس إلى نور البصيرة ونقها إلى صورتها الأولى"(المصدر نفسه, ١٥) كما حملت الساقية امنيات العابرين في الرواية وان كانت الامنيات مبتورة إلا اننا نجد تحققها في أخر الرواية , وهي فكرة مقتبسة من عادات بعض المجتمعات التي ترى تحقق الأماني إذا ما وضعت في مكان جارٍ, اعتقاداً منهم بسرعة التحقق لسرعة الوصول " كانوا مجتمعين حول النهر

الذي يأتي كساقية من طرف الشلال . كان الناس يجمعون الأوراق ويكتبون على كل ورقة امنية ويلقونها مع التيار ويدعون الله"(المصدر نفسه , ٣١) فتحولت بذلك الساقية من مكون مادي ملموس , إلى مكان معنوي محسوس يرتبط بالتجدد والنقاء, والطهر والسلام ومصدرا أمناً لتحقيق الأمنيات.

٣_ الغابة :مثلت الغابة هي الأخرى مكاناً مفتوحا للجميع , ذلك لأنها بدت مفتوحة السقف , لا تحدها حدود من جوانبها الثلاث , وهي القاعدة التي اتكئ عليها الجميع في قراءتهم للمكان المفتوح , ولا نختلف معهم نحن ايضاً فيما ظهر من معنى دلالي قريب , غير أننا نحاول البحث عن دلالة الغابة كما جاءت في رواية (خوف الزجاج) ,وهل استطاعت ان تحافظ على طبيعتها المفتوحة أم انها تخلت عنه كحال من سبقها , فكعادة الروائي يعرض لنا ملامح الغابة اولاً , ثم يبين حالها , ففي سياق النصوص المطروحة , نجد الغابة قد اصابها التشوه والتغيير وطال كثافة اشجارها ورونقها "اشجار هذه الغابة قلت , سيقانها شديدة الالتواء , واغصانها تلتف على بعضها, واوراقها على شكل وجوه آدمية , بمختلف التعابير والمعاني محفورة على سيقانها عبارات عميقة " (المصدر السابق, ٢٦) فعم التشوه فيها وطال كل شيء فلم يبق ولم يذر , حتى انه افقدها معناها ذا الطبيعة المفتوحة, وهو ما بدا على اغصانها المتشابكة وسيقانها الملتوية على بعضا وكأنها ترفض قبول الأخر وتنطوي على نفسها فلا تمنح اغصانها فسحة من الحرية , بل تتركهم عرضة للاختناق والموت ,وهذا كما يبدو كان السبب وراء قلة اشجار الغابة , وهو ما يستدعي معرفة حقيقة الغابة لا تصويرها المجازي , فالقلة التي عكست محدودية الاشجار كانت تحاكي محدودية ساكنيها , وتشابك الاغصان والتواؤها والأوراق التي جاءت على هيئة وجوه آدمية أكدت المعنى الحقيقي للغابة , فما الغابة إلى عنوان للحياة التي نعيش تفاصيلها, وتشابك اغصانها عنواناً للاختناق والعداء الذي لا يترك للطبيعة شيء إلا شوهها , وعليه فقدت الغابة المفتوحة متجهة صوب الانغلاق .وقد تتخذ الغابة التي هي ملاذ للوحوش صورة الاحتواء لمن اراد السلام والهروب من وحوش الأرض " خفت من وحوش الأرض فبحثت عن شجرة في الغابة تتفرع يمكن أن تقبلني بين فروعها , تسلقت جذعها وجلست بين الفرعين اسند ظهري لأحداهما بجلستي الصغيرة وامسك الفرع الأخر ... انا الآن ابن هذه الغابة وربما كان هذان الفرعان هما والداي وهذا الجذع هو قدري "(المصدر نفسه , ١٤) وهنا تنزع الغابة ثوبها المخيف لتكون الحضن الذي يضم إلى صدره ابناؤه وما الغابة إلا صورة مصغرة للحياة أما الاغصان التي تعلقت بهم الشخصية , فما هما إلا تعبيراً مجازياً عن الوالدان , والشجرة تعبيراً عن الأصل , فهما الملاذ الأمن الوحيد الذي هربت إليه الشخصية واستندت عليه حينما أرادت الاحساس بالاستقرار والراحة بعدما فقدته في اي مكان آخر.

نتائج البحث :

- استطاع الكاتب أن يحقق البعد الفلسفي من خلال الطرح الأدبي في روايته .
- نجحت الكاتبة في خلق عوالم متخيلة تبدو بعيدة بأفاقها لكنها قريبة جداً ل انفسنا. .
- مثل المغلق والمفتوح بعدين متناقضين لكن في الرواية اخذ احدهما دور الآخر فذاب كلاهما في دلالة المكان.
- اكد الكاتب أن صورة المكان تكون أكثر تعلق بصورة ساكنيه لاسيما الصورة النفسية لهم .
- بين الكاتب أن توتر الشخوص في الرواية خلق نسقاً سردياً يتناسب وعمق ذلك التوتر .

قائمة المصادر

1_A_ khamri ,Hussein,(2001),The poetic phenomenon of presence and Absence ,Damascus _Syria ,Arab writers
2_Al_Jurjani ,by Imam Abd al_ Qahir (1987), Evidence of Miracles, edited by Muhammad Radwan al_ Daya and Fayez al_ Daya, Damascus, published by saad al_ Din Library.
3_ Saliba ,Jamil(1982) ,The philosophical Dictionary of Arabic ,French ,English and Latin words ,Beirut ,Lebanon, Dar Al- kitab Al-Lubani ,part2
4_Al- Zawahiri, Dr . Kazem (1949), The Creations of Narrative Implications in the Holy Qur'an, Ta'a Dar, Al-Sabouni and Dar Al- Hidaya.
5_ Dr . Abdul Muttalib, Dr. Muhammad (1995), The Dialectic of Individuality and Structure in Ancient Arabic Criticism, Cairo- Egypt , Literature ,Series, published by Abi Al- Houl Company .
6_ Fadl ,Dr. Salah,(2003)Constructivism Theory in Literary Criticism, Istedition , Egyptian General Authority
7_Muhammad Binsin,(1998), The Modemity of the Question ,and edition ,Casablanca Arab Cultural center .
8_Baidouh, Somaya,(2010)philosophy of the Body, 1st edition, Beirut ,Lebanon, Al- Tanwir.
9_ Gerard Genett : seuils collection "Ed. Du seuil (1)paris ,1997
10_ Al- Murshidi, Zainab Fadel,(2022), the novel "Cracking the wall" ,1st edition, Iraq- Baghdad ,Dar Al- sard.